المحاضرة الثالثة : التواصل الثقافي للجزائر مع بلدان الجوار خلال العهد العثماني

عرفت الأقطار المغاربية تواصلا ثقافيا خلال الفترة العثمانية مثلته النخبة من أعلام الفكر والثقافة الذين كانت لهم تنقلات خاصة إلى المغرب الأقصى وتونس ومساهمات فكرية وعلمية .

أولا- مع المغرب الأقصى :

كان للرحلة العلمية التي قام بها العلماء خلال العهد العثماني دور في التواصل الثقافي، حيث نجد نماذج عدة كان لها أثر فكري من خلال رحلاتهم من الجزائر باتجاه المغرب الأقصى؛ نذكر على سبيل المثال الشيخ محمد بن أحمد التلمساني الوقاد أخذ العلم عن مشايخ بلدته منهم التنسي، ثم ارتحل إلى المغرب الأقصى خلال القرن السادس عشر، ودخل تارودنت وولي بها قضاء الجماعة، ثم انتقل إلى مكناسة الزيتون ومنها إلى فاس؛ تولى في كلا المدينتين الخطابة والإفتاء والتدريس، ولكن لم يلبث أن رجع إلى تارودانت واستقر بها توفي سنة 1001 هـ/1592م، واشتهر الشيخ محمد الخروبي(ت 963ه/ 1565م)بمهمته السياسية والعلمية إلى المغرب الأقصى؛ منها رحلة ترسيم الهدنة وضبط الحدود سنة 961ه /1554م،إضافة إلى أنه زار فاس ومراكش وأخذ عليه علماء المغرب ، وكان فصيح اللسان وجريئا؛ وتذهب الروايات إلى أنه ترك خزانة كتب ضخمة بمراكش، وكان للشيخ أحمد المقري(ت1041هـ/ 1632م) رحلة من تلمسان إلى مدن المغرب الأقصى خاصة مراكش وفاس؛ حيث ألف كتابه الذي ضمنه لقاءه بعلمائها والمعنون**بـ : " روض العاطر الأنفاس في ذكر من لقيته من علماء مراكش وفاس"** ؛كما تولى وظائف سامية بها كالإمامة والخطابة والفتوى رغم أنه لم يمكث بها طويلا واتجه إلى المشرق. وارتحل أيضا الشيخ عبد الرزاق بن حمادوش إلى المغرب في بداية القرن الثامن عشر للتجارة و طلب العلم؛ تلقى خلالها بعض العلوم على أحمد الورزازي ومحمد البناني في تطوان وفاس ومكناس، وحصل منهم على إجازات ذكرها ضمن رحلته(**رحلة ابن حمادوش**)، كما جلس للتدريس بعض الوقت، وطالع كتاب ونسخ الكثير منها.

ومن العلماء الذين زاروا الجزائر نذكر ابن زاكور الفاسي(ت1120هـ/1708م) الذي تلقى الإجازة على الشيخ عمر المنجلاتي الذي أجازه في قراءة جمع الجوامع للإمام السبكي، و أخذ عن الشيخ سعيد بن إبراهيم قدورة، وأبي عبد الله محمد بن عبد المومن الحسني في الأدب والفقه ؛ وضمنها في رحلته الموسومة بـ "أزاهير البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان".

إضافة الى التواصل الصوفي المتمثل في انتشار الطرق الصوفية مثل الطريقة الراشدية،والتيجانية والدرقاوية والوزانية والشيخية عن طريق الرحلات الصوفية وإسهامات الرحالة في إثراء الحياة الفكرية والعلمية.

ثانيا- مع تونس :

تمثل التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس في العلاقة بين علماء الجزائر وتونس؛ حيث عرفت تنقلات من طرف عدد من النخبة باتجاه تونس لطلب العلم بجامع الزيتونة ومواصلة رحلتهم مشرقا، في المقابل هناك نقص في زيارة علماء تونس إلى الجزائر،

ومن أشهر الأعلام الذين ساهموا في التواصل الثقافي أبوراس الناصري الذي ارتحل الى تونس أواخر القرن الثامن عشر والتقى بعلمائها من أمثال: المفتي محمد بن محجوب والشيخ إبراهيم الرياحي؛ كما التقى الباي حمودة باشا وسأله في عدة علوم ذكرها ضمن رحلته المعروفة، كما كانت للشيح الورتلاتي رحلة سنة 1766م زار خلالها تونس والتقى بالعلماء من أمثال: الشيخ محمد الغرياني، والأديب محمودة بن عبد العزيز ، وساهم بتدريس العلوم كما ذكر في رحلته الموسومة بالرحلة الورتلانية، كما توجه الشيخ أحمد بن عمار(ت1205هـ/1790م) إلى تونس بغرض الإقامة غير أن مدة إقامته كانت قصيرة؛ و كانت له فيها مساجلات علمية ومناظرات مع علماء تونس، وأجاز فيها البعض من أمثال الشيخ إبراهيم السيالة التونسي، كما ألف كتابين بتونس هما رسالة في الأدب والتفسير، والثاني تاريخ في سيرة وآثار باي تونس، وأجاز ابن العنابي محمد بيرم ، كما اشتهرت منطقة زواوة بزواياها التعليمية والتي كانت مقصد الطلبة من المغرب وتونس وخاصة خلال النصف الأول من القرن (11هـ،17م) حيث كانت تدرس الفقه والنحو والقراءات، إضافة إلى التواصل الصوفي الذي مثلته الطرق الصوفية مثل: الطريقة الشابية والرحمانية والتيجانية..